معالم وقضايا دلالية في كتاب الصناعتين

د. بن الدين بخولة

قسم اللغة العربية/ جامعة الشلف/ الجزائر

Parameters and issues in the book of the two industries

Dr. Ben - Din Bakhoula

Department of Arabic Language\ University of Chlef\ Algeria

trezel@live.fr

Abstract

The semantic studies are very old, in our heritage we will try to search this drawing of the subject of the semantic from the theoretical and practical point of view and reveal its secrets and secrets, and after browsing in the writings of ancient linguists and modernists, through what is mentioned in the plants of the book factories of Abu Hilal askari

Keywords: Semantics, derivation, tandem, contrast, verbal, verbal participations

الملخص: إن الدراسات الدلالية قديمة جدا، في تراثنا سنحاول في بحثنا هذا رسم موضوع المعالم الدلالية من الجهة النظرية والتطبيقية وكشف خباياه وأسراره، وبعد التصفح في مؤلفات اللغويين القدماء والمحدثين، الذي من خلال ما ورد من محطات دلالية في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري.

الكلمات المفتاحية: الدلالة؛ الاشتقاق؛ الترادف؛ التضاد؛ اللفظ؛ الاشتراك اللفظي.

البحث

ينتمي أبو هلال العسكري إلى القرن الرابع الهجريِّ، فلقد توفي في نهاية عام ٣٩٥ هجرية، ويتميَّز ذلك القرن بأنه كان مرحلةَ نضجٍ لكثير من فروع المعرفة في الدراسات العربية والإسلامية، بل لكثير من مظاهر الحضارة في الدولة الإسلامية.

لقد كان الجانب التطبيقي غالبا على الدراسات العربية حول الظواهر الدلالية فأبو الهلال العسكري صَاحبَ في كتابه قضايا أدبية ونقدية وبلاغية، رغم اهتمامه الكبير بالجانب البلاغي إلا أنه لم يستبعد جانبا آخر وهو الظواهر الدلالية وهي كالآتي:

الاشتقاق:

الاشتقاق من الشق، وهوأخذ الشيء أو اخذ شقه أي نصفه، واشتقاق الكلام الاخذ فيه يمينا وشمالا، والاشتقاق الحرف من الحرف اخذ منه، ويقال شقف الكلام اذا أخرجه أحسن محرج[1].

لقد تكلم المصنف–رحمه الله– على المشتق وصرح بأنه لم يسبقه في ذلك أحد، فيقول: " وقد عرض لي بعض هذه الأنواع، نوع الآخر لم يذكره أحد وسميته المشتق وهو على وجهين، فوجه منهما أن يشتق اللفظ من اللفظ، والآخر أن يشتق المعنى من اللفظ"[2] اما فهو توليد لبعض الالفاظ من بعض، والرجوع بها إلى اصل واحد، يحدد مادتها، ويوصى بمعناه المشترك الاصيل مثلما يوصي بمعناها الخاص الجديد[3] أو هو: عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى[4]

والاشتقاق انتزاع مفردات وكلمات من كلمة واحدة وجعلها على عدة صيغ، وكان الهدف الرئيسي منه هو فهم اللغة والتوسع في ميادينها، وهو عند العسكري على وجهين هما:

1)) لسان العرب، مادة (ش ق ق): ١/ ٢٢١.
2)) أبو هلال العسكري، الصناعتين(الكتابة والشعر)، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو فضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ١٩٩٨، ص٤٣٠
3)) دراسات في فقه اللغة، ١٧٤، المعجم المفصل في علوم اللغة، ١/ ٩٢، فقه اللغة، ٧٨، فقه اللغة (مناهله ومسائله)، ٢٧٥.
4)) فقه اللغة١١١، فقه اللغة، ٧٨.

أ- اشتقاق اللفظ من اللفظ:

وهنا يعني أن تكون اللفظة المشتقة من اللفظة الأصلية لها نفس المعنى الذي تؤديه اللفظة الأصل، كما أنها تعتمد على حروفها كاملة أو البعض منها.

فمثل له بقول الشاعر يقال له ينخاب [5]: وكيف ينجح من نصف اسمه خابا.

فاشتق من الاسم(بنخاب) فعل(خاب)، سخرية من هذا الشخص. ومثل إليه بمثال ثان في قول الشاعر في البانياس:

"وكيف يطمعُ في أمن وفي دعة من حلَّ في بلد نصف اسمُه ياس"[6]

ب- اشتقاق المعنى من اللفظ:

يبين العسكري الاشتقاق من اللفظ الأصلي معنى آخر، دون أن يذكر بقية المعنى المشتق منه، أي هذا يعني أن هذا المعنى يدل على اللفظة المشتقة دون ذكرها وإعادة صياغتها والغرض من هذا الاختصار كما أشار إليه العسكري في قول ابن دريد:

لو أوحي النحو إلى نفطويه ما كان هذا النحو يقرا عليه

أحرقَه اللهُ بنصف اسمـه وصيَّر الباقي صُراخا عليـه[7]

هنا اشتق من اللفظ(اسم نفطويه) معنى آخر(نفط)،(ويه) على سبيل التهكم، فقد سخر ابن دريد من نفطويه. إلا أن هناك عدة أقوال في الاشتقاق والتي من بينها:

أن حقيقة الاشتقاق له ثلاثة أنواع كما ذكرها العلماء، وهي الاشتقاق الصغير أو الأصغر والذي يعني تغيير في صيغ الكلمات وتشابه في المعنى الذي يتفق في الأحرف الأصلية، كما نجد الاشتقاق الأكبر والذي يعني الاحتفاظ بالحروف الأصلية ولكن عليك أن تجعل حروفها متقلبة على ستة مرات والتي تحتفظ بالمعنى الأصلي لها، وكذلك الاشتقاق الكُبَّار والذي هو النحت والذي يعني أن تجعل كلمتين أو ثلاث كلمات في كلمة واحدة للاختصار [8]

إذن فالاشتقاق تعددت أنواعه، الأصغر، والأكبر، والكبار، والذي أشار إليه أبو هلال العسكري في الصناعتين نوعان فقط.

مشتركات الألفاظ:

الاشتراك اللفظي في اصطلاح اللغويين

فهو تعدد المعاني للفظ الواحد، أو اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين[9]، أو اتحاد الاسم واختلاف المسميات[10] ؛ وإذاً فالاشتراك عندهم هو: (اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء، عند أهل تلك اللغة [11]. والواضع من تعريف الترادف، والاشتراك، أن إحدى الظاهرتين عكس الأخرى، فالترادف ألفاظ عدة لمعنى واحد، والاشتراك معان عدة للفظ واحد، ومشتركات الألفاظ كما يسميها أبو هلال العسكري وهو دلالة على الاختلاف في المعنى والاتفاق في اللفظ حيث نجد أبي هلال العسكري في كتابه يقول:

"ومشتركات الألفاظ، وقول جعفر بن يحي: وتخرجه من الشركة، فهو أن يريد الإبانة عن معنى فيأتي بألفاظ لا تدل عليه خاصة، بل تشترك معه فيها معاني أخر، فلا يعرف السامع أيها أراد، وربما اسبهم الكلام في نوع من هذا الجنس حتى لا يوقف على معناه بالتوهم" [12]

5)) أبو هلال العسكري، الصناعتين(الكتابة والشعر)، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو فضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ١٩٩٨، ص٤٣٠

6)) المصدر السابق، ص٤٣٠.

7)) المصدر نفسه، ص٤٣٠.

8)) أبو هلال العسكري: الصناعتين: ص٣٢-٣٣.

9)) سيبويه، الكتاب – تحقيق عبد السلام هارون – الخانجي – القاهرة ١٩٨٢/ ١

10)) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير – تحقيق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة – دار نهضة مصر – القاهرة ٥٠/١

11)) المزهر ١ للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين – القاهرة ٣٦٩/١٩٥٨.

12)) أبو هلال العسكري: الصناعتين: ص٣٢-٣٣.

فقد قصد أبو الهلال العسكري بالمشترك اللفظي، أن هناك ألفاظا تحتمل أكثر من معنى واحد مثلا: كلفظ العين يدل على أكثر من معنى؛ عين الماء، عين المال، الجاسوس سيد القوم، ...الخ.

وقد مثل على الاشتراك في قوله: "

واجز الكرامة من ترى أن لوله يوما بذلت كرامة لجزاكها"

فدلالة الكرامة الأولى نفي صاحب الخير ودلالة الكرامة الثانية نفي الخير في حد ذاته.

وبالتالي فمشتركات الألفاظ عند أبي هلال تعني المعنى المقصود والمحدد داخل السياق الذي توضع فيه دون أن تؤدي نقصا أو زيادة مما يجعل القارئ يبحث في دلالة الكلمة المقصودة والتي تطابق قصد الكاتب. "وقد عد المشترك اللفظي تسمية الأشياء المختلفة بالاسم الواحد وكل شيء دلالته الخاصة به، أي إطلاق الكلمة الواحدة على عدة معان وكل كلمة من هذه الكلمات معنى محدد خاص بها ككلمة المغرب وهذه الكلمة لها معنيين ر غم أنها لفظة واحدة وهي تدل على المغرب" وقت الصلاة" أو تدل على المغرب أي "وهي بلد المغرب" فالقارئ يحدد دلالتها داخل الجملة التي توضع فيها هذه الكلمة" [13] فالكلمة يحددها القارئ من خلال السياق المرادف لها.

تعدد الأقوال واختلافها حول الاشتراك اللفظي:

فقد ذكر السيوطي أقوى الحجج فيقول: " قال ابن درستويه في شرح الفصيح- وقد ذكر لفظة (وجد) واختلاف معانيها هذه اللفظة من أقوى حجج من يزعم أن من كلام العرب ما يتفق لفظه ويختلف معناه؛ لأن سيبويه ذكره في أول كتابه، وجعله من الأصول المتقدمة؛ فظنَّ من لم يتأمل المعاني، ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظ واحد قد جاء لمعان مختلفة"[14] يقول سيبويه في كتابه (باب اللفظ والمعانى) (اتفاق اللفظين والمعنى مختلف, نحو قولك: وجدت عليه من الموجدة, ووجدت إذا أردت وجدان الضالة. وأشباه هذا كثيرا ويقول المبرد في كتابه(ما اتفق لفظه واختلف معناه)[12] وأما اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين, فنحو: وجدت شيئا إذا أردت وجدان الضالة, ووجدت على الرجل من الموجدة, ووجدت زيدا كريما: علمت

فللمشترك اللفظي أهمية بالغة في الدراسات الأدبية، فقد ساهم في إثراء اللغة بغزارة المعنى وكثافته وإثرائه، فلا يمكن الاستغناء عنه في الدرس الدلالي خاصة.

التضاد:

التضاد هو وقوع لفظ واحد على معنيين متضادين، وقد رأينا في تعريف الاشتراك أنه وقوع لفظ واحد على معنيين مختلفين، فالظاهرتان، الأضداد والمشتركات، أو الاشتراك تشتركان في دلالة لفظ واحد على معنيين، غير أن المعنيين في ظاهرة المشترك يكونان مختلفين غير ضدين، وفي ظاهرة الأضداد يكونان ضدين. وقد أدَّى هذا إلى القول بأن الأضداد (نوع من المشترك[15] للمشترك متضمناً للأضداد، فهؤلاء يرون: أن المشترك يقع على شيئين ضدين، وعلى مختلفين غير ضدين[16] والضِّدُّ كلُّ شيء ضادَّ شيئًا ليغلبَه، فالسَّواد ضِدُّ البياض، والموتُ ضِدُّ الحياة؛ تقول: هذا ضِدُّه وضَديدُه، واللَّيل ضِدُّ النهار إذا جاءَ هذا ذهبَ ذاكَ، ويُجمع على الأضداد [17] "

تطرَّق أبو هلال العسكري للتضاد في الفصل الثاني من الباب التاسع(المطابقة) فقال: "قد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة؛ مثل الجمع بين البياض والسواد والليل والنهار، والحر والبرد[18]"

13)) علي عبد الواحد وافي: "فقه اللغة"، دار النهضة، مصر، ط٨، القاهرة، ص١٧٩.
14)) عبد الرحمن جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص٣٨٤.
12)) توفيق محمد شاهين المشنرك اللغوي نظريا وتطبيقا, , ط. ١م. وهبة 1980.ص ٢٧
15)) الخليل بن أحمد؛ "معجم العين"؛ مادة "ضد"، وانظر "لسان العرب"؛ لابن منظور نفس المادة، الرازي؛ "مختار الصحاح"
16)) المزهر ٣٨٧/١.
17)) الخليل بن أحمد؛ "معجم العين"؛ مادة "ضد"، وانظر "لسان العرب"؛ لابن منظور نفس المادة، الرازي؛ "مختار الصحاح"
18)) - أبو هلال العسكري: الصناعتين"الكتابة والشعر"، ص٣٢-٣٣.

حيث تناوله أبو هلال العسكري واستشهد بأمثلة متنوعة من القرآن والحديث والشعر وهي كالآتي:

أ- أمثلة القرآن الكريم:

لقد اعتمد أبو هلال العسكري على عدة شواهد للتأكيد على أهمية التضاد ودوره البارز في نمو اللغة وكان اعتماده الكبير على القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ** ﴾[19] أي بعضها فوق بعض.

وقال تعالى أيضا: ﴿ **لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾[20]

وقال تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا44)** ﴾[21]

وهاهو جدول التضاد في هذه الآيات القرآنية كالآتي:

الكلمة	ضدها
تأسوا	تفرحوا
فاتكم	أتاكم
أضحك	أبكي
أمات	أحيا

ب- أمثلة الحديث الشريف:

لم يهمل أبو هلال العسكري جانبا آخر من الشواهد المعتمدة على تدعيم التضاد، أو المطابقة لأن هذه الظاهرة بالغة الأهمية والبيان على ذلك تركيزه عليها باعتماده على الأحاديث النبوية فيقول:

"ومما جاء في كلام النبي عليه الصلاة والسلام من الكلام المطابق قوله لأنصار: "إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع"، وقوله عليه الصلاة والسلام: "خير المال عين ساهرة لعين نائمة" والمقود هنا عين الماء ينام صاحبها وهي تسقي أرضه، وقوله عليه الصلاة والسلام: " إياكم والمشارة فإنها تميت الغرة وتحيي العرة"[22].

الكلمة	ضدها
تكثرون	تقلون
ساهرة	نائمة
العرة	الغرة
تحيي	تميت

الطباق من أهم المحسنات البديعية وأروعها بحيث يعتبر لوحة لا يرسمها إلا من تذوق طعم هذا الفن، فهو يجمع بين شيئين ويبين الفرق بينهما في آن واحد، أي أنّه الجمع بين المتضادين فى الكلام، هو جمال اللغة.

وقد عرّف الطباق في اللغة فيقول:

"الجمع بين الشيئين يقولون: طابق فلان بين ثوبين، ثم استعمل في غير ذلك، فقيل: طابق البعير في سيره، إذ وضع رجله موضع يده، وهو راجع إلى الجمع بين الشيئين"[23]

19)) سورة الملك، الآية: ٠٣.
(20) سورة الحديد، الآية: ٢٣.
(21) سورة النجم، الآيتين: ٤٣-٤٤.
22)) أبو هلال العسكري: الصناعتين"الكتابة والشعر"، ص٣٠٩.

فتعريف أبو هلال العسكري الطباق في اللغة قصد به اجتماع شيئين على صورة الخلاف كما نجد تعرفه في اللغة على أنه: " جاء في لسان العرب في مادة ضدد: ضد الشيء وضديده، وضديدته، خلافه وضده أيضا مثله، والجمع أضداد والأضداد أي الأنداد والأقران ويقال لا ضد له ولا ضديد له: أي لا نظير له ولا كفء له، والضدد: الذين يملؤون للناس الآنية إذ طلبوا الماء، وبنو ضد: بطن"[24]

فكلا التعريفين في اللغة يشملان على الشيء وضده أي معنى الشيء ونقضيه صورة المخالفة كلفظ الدخول الذي ضده الخروج.

"قال الليث: ويقال لقي القوم أضدادهم وأندادهم أي أقرانهم وقال الأخفش: الند هو الضد والشبه، وقال ابن السكيت: حكي لنا أبو عمر: الضد مثل الشيء والضد خلافه"[25]

كما نجد الفيومي يركز على أن الضد هو المخالفة والمثل، حيث أضاف: "الشرتوني في "أقرب الموارد" إلى ما دعاه لغات الأضداد: اللغات الدالة على معنيين متضادين كالضد للمثل والمخالف"[26]

رغم الاهتمام الكبير والبليغ لأبي هلال العسكري بهذا النوع من الظواهر إلا أنه أعده عيبا ومن عيوبه في هذا الصدد في أبيات من الشعر:

قول الأخطل:

قلت المقام وناعب قال النوى فعصيت قولي والمطاع غراب

وقول أبي تمام:

فيا ثلج الفؤاد وكان رضفا ويا شبعي بمقدمه وربي[27]

وفي الوقت نفسه نجد بعض العلماء الذين اعتبروا الضد نقصا في كلام العرب وفي لغتهم، وقد رد ابن الأنباري في كتابه الأضداد قال: "كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويربط أوله بآخر، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستقائه واستكمال جميع حروفه ولا يراد بها في حال التكلم والأخبار إلا معنى واحد، فدل ما تقدم قبل "جلل" وتأخره بعده على أن معناه؛ كل شيء ما خلال الموت يسير، ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن الجلل هنا معناه عظيم"[28]

فالحقيقة في قضية التضاد أن هناك من دعمها برأيه وأعدها ظاهرة يمكن الاعتماد عليها والتوسع في دراستها إلا أن هناك من رفضها رفضا تاما واعتبرها خلط في معاني الألفاظ وصعوبة في تحديد معانيها فنجد "أبا علي القالي(ت٣٥٦هـ) قد أنكر الأضداد فقال في أماليه: "الصريم الصبح سمي بذلك لأنه انصرم عن الليل، فالصريم الليل لأنه انصرم عن النهار، وليس هنا عندنا ضده... والنطقة الماء تقع على القليل منه والكثير وليس بضده"[29]

و أبو الهلال العسكري لم يذكر تفصيلا في حدود التضاد لأنه ركَّز على الأداة الشعرية وهذه الأبيات هي التي توضح ذلك:

عرض الظلام أو اعترته وحشة فاستأنست روعاته بسهادي

بل ذكرة طرقت فلما لم أبِتْ باتت تفكر في حروب زقادي

أغرت همومي فاستلبن فصولها نوما ونمنا على فضول وسادي

فهذه الأبيات من قبح التطبيق الذي في أولها وهجة الاستعارة لا يعرف معناها على الحقيقة[30]

---

23)) المصدر نفسه، ص٣٠٧.
24)) أبو الفضل بن جمال الدين محمد بن مكرم ان منظور، "لسان العرب"، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣، ج١، ص٥٨.
25)) أحمد بن علي الفيومي: المصباح المنير، المكتبة العصرية، ط٢، صيدا، لبنان، ١٩٩٧، ص٤٨٦.
26)) - سعيد الخوري الشرنوتي: أقرب الموارد إلى فصح العربية والشوارد، مطبعة مورسلي، بيروت، ط١، ١٩٨٩، ص٦٧٩.
27)) أبو هلال العسكري: المصدر السابق، ص٣٢٨.
28)) ابن الأنباري: محمد بن القاسم، الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، دائرة المطبوعات الجامعية للنشر، ١٩٦٠، ص١٣٥.
29)) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة، ص٣٩٧.
30)) أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، ص٣٢٩.

الأرداف أو الترادف:

الترادف في اللغة التتابع، وأردفه أي أركبه خلفه، وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه" [31] والمترادفات في الاصطلاح: "ألفاظ متّحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق. والترادف التام نادر الوقوع إلى درجة كبيرة... فإذا ما وقع هذا الترادف التام فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محدّدة ... وسرعان ما تظهر بالتدريج فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة بحيث يصبح كل لفظ منها مناسبا وملائما للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد." [32]

وعرّفها **بن جنيّ** في باب اختلاف الألفاظ وتلاقي المعاني: "أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة فتبحث عن أصل منها،فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه[33]، كما عرّفه **الشّريف الجرجاني** بقوله: "التّرادف يطلق على معنيين: أحدهما الاتّحاد في الصّدق، والثّاني: الاتّحاد في المفهوم،ومن نظر إلى الأوّل فرّق بينهما، ومن نظر إلى الثّاني لم يفرّق بينهما[34]، ومن المعاصرين يقول اللّغوي الانجليزي **أولمان:** ا"لمترادفات ألفاظ متحّدة المعنى وقابلة للتبّادل فيما بينهما في أيّ سياق[35].

وقد نعني بالترادف وجود كلمات مختلفة لها معنى واحد، أو دلالة واحدة للمفردة، وقد تطرق له أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين فقال: " أن يريد المتكلم الدلالة على معنى فيترك اللفظ الدال عليه، الخاص به، ويأتي بلفظ هو ردفه وتابع له، فيجعله عبارة عن المعنى الذي أراده وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ **فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ**﴾[36]، وقصور الطرف في الأصل موضوعة للعفاف على جهة التوابع والأرداف، وذلك أن المرأة إذا عفت قصرت طرفها على زوجها، فكان قصور الطرف ردفا للعفاف، والعفاف ردف وتابع لقصور الطرف، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[37]؛ وذلك أن الناس يتكافون عن الحرب من أجل القصاص فيحيون فكأن حياتهم ردف للقصاص الذي يتكاتفون عن القتل من أجله؛ ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الفزع، فقال: " حق وإن تتركه حتى يكون ابن مخاض أو ابن لبون خير من تكفئ إناء وقوله ناقتك؛ وتدعه يلصق لحمه بوبره"[38]

فقد أكّد أبو هلال العسكري على قضية الترادف لتسهيل عملية الفهم عن طريق تقديم الشروحات للألفاظ المستخدمة، كما أننا نجده قد تناوله بدراسة واسعة في كتاب"الفروق اللغوية" من خلال استناده على الوظيفة النحوية والصرفية للكلمة في إثبات الفرق الدلالي حيث يقول:

"الفرق بين العلم والمعرفة، أن العلم يتعدى إلى مفعولين والمعرفة تتعدى إلى مفعول واحد فتصرفهما على هذا الوجه واستعمال أهل اللغة إياهما عليه يدل على الفرق بينهما"[39]،فقد استند أبو الهلال على أمثلة كثيرة في تحديد دلالة كل لفظة على حده واعتبر أن الدلالة والمعنى الذي تؤديه اللفظة الأولى قد يكون مناسبا للمعنى الذي تؤديه اللفظة الثانية وقد يكون أوسع تحديد ومفهوم للفظة أخرى"[40].

وينتهي محمد باسل عيون السود إلى نتيجة مفادها أن: " خلاصة القول في فروق العسكري أنها قائمة على النظرة التاريخية إلى دلالة الألفاظ، تلك النظرة التي تتشبث بالدلالة الأصلية وترفض التغير الدلالي الجديد الذي اقتضاه التطور في الاستعمال، وإن أشار العسكري أحيانا إلى هذا التوسع، إضافة إلى ما يشوبها من تعدد في تناول الفروق، وأثر المنهج المنطقي والطابع العقلي فيها، وتجاوزه

(31)) الرازي: مختار الصحاح
32)) رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية ص٣٠٩
(33)) الخصائص ابن جني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، م3 ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3 ، س 2008 م 1429 /ه، ص21
(34)) مصطلحات الدّ لالة العربي ةدراسة في ضوء علم الل غة الحديث: جاسم محمد عبد العبود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م، ص227 .
(35)) علم اللسان العربي؛فقه اللغة العربية: عبد الكريم مجاهد، دار أسامة، عمان، الأردن، ط1 ، س2005 ، ص30
(36)) سورة الرحمن، الآية: ٥٦.
(37)) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.
(38) أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص٣٥٠.
(39)) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٦، ص٩٤.
(40)) حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥، ص١٧٠.

في تفرقة الدلالة اللغوية إلى اعتبارات أخرى، ولم يستطع العسكري التفرقة بين ألفاظ واعترف بأنها سواء من حيث الدلالة على الرغم مما ذكره من فروق بينها، وحين وجد صعوبة في التفرقة بين ألفاظ أخرى تكلف وتعسف، وجاءت طائفة منها خلوا من الشواهد وليست جميع فروقه موضع اتفاق لدى اللغويين"[41].

فعندما تناول أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين الأرداف اعتبر أنه يدخل في باب المماثلة ولكنه اهتم بالأرداف والمماثلة كلا منهما على جهة خاصة به وأعطاه من الأدلة والبراهين والشواهد القرآنية والحديث وحتى الشعر ففي أدلة الشعر نجد:

وكل أناس قاربوا قيد فحلهم ونحن خلعنا قيده فهو سارب

أراد أن يذكر عز قومه، فذكر تسريح الفحل في المرعى، والتوسيع له فيه؛ لأن هذه الحال تابعة للعزة ورادفة للمتعة، وذلك لأن الأعداء لعزهم لا يقدمون عليهم لعزهم فيحتاجون إلى تقييد فحلهم، مخافة أن يساق فيتبعه السرح"[42]،فأبو الهلال لم ينكر حقيقة الترادف إلا أن هناك من نجده يرفض وقوع الترادف الكامل بين الكلمات حيث نجد ابن الأعرابي(ت٢٣١هـ) يقول: "كل حر فين أوقعتهما العرب على معنى واحد، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا فلم تلزم العرب جهله"[43] إلا أننا نجد علماء العرب القدماء درسوا ظاهرة الترادف على نحو دقيق على الرغم من اختلافهم حول وقعه، ويعود السبب في هذا الاختلاف إلى اختلاف نظرة كل منهم إلى الظاهرة. واختلفت آراء اللغويين في قضية الترادف اللغوي وانقسموا ثلاثة فرق:

فريق ينكر وجود الترادف، وآخر يقره، وثالث أخذ من الفريقين موقفا وسطا، ويدخل كتاب الفروق اللغوية للعسكري في جملة الدراسات التي عالجت قضية الفروق اللغوية، وقد أنكر العسكري في كتابه هذا قضية الترادف اللغوي، وعمل على تصويبه، وهو في ذلك يرتسم خطى ابن قتيبة من حيث الدافع والغاية والمنهج في التأليف"[44].

"فمعنى الذين قالوا بوقوعه كانوا ينظرون إلى الثروة اللفظية في اللغة العربية نظرة وصفية آنية، أي كانوا ينظرون إلى اللغة كما هي في فترة زمنية محددة أو كما وصلت إليهم في عصرهم"[45].

"وهذا يعني أن علماء اللغة العربية درسوا الظاهرة نظرا لتاريخها وبالتالي هذا التطور التاريخي لهذه الظاهرة قد يصل إلى كل واحد منهم بصورة مختلفة فيقومون بدراستها كما وصلت إليهم بالتغيير والاختلاف وهذا يرجع إلى أن التاريخ غير ثابت ومستقر بل أنه متحول من زمن إلى زمن وبالتالي فهو يؤثر على الظاهرة"[46].

"على الرغم من وجود صورة الاختلاف حول حقيقة هذه الظاهرة بين العلماء من خلال المؤيدين والرافضين فنجد أن ابن فارس الذي وضح صورة المشترك بين الرأيين من خلال قوله: "واحتج أصحاب المقالة الأولى بأنه لو كان لكل لفظة معنى غير الآخر، لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته، ولذلك أن يقولوا في"لا ريب" أي لاشك فيه، لو كان الريب غير الشك لكانت العبارة معنى الريب بالشك خطأ، فلما عبر عن هذا بهذا علم أن المعنى واحد"[47].

وهنا نجد ابن فارس يؤكد على حقيقة الترادف في وقوعها واعتبره ظاهرة حقيقة تسهل عملية توضيح الغموض الموجود في بعض الألفاظ التي يصعب فهمها وتحديد دلالتها، و من العلماء الذين أجازوا التّرادف في اللغة العربيةّ، واختاروا هذا المسلك" **ابن السّكّيت**(244هـ) في كتابه (تهذيب الالفاظ) و"**أبو بكر الزّبيدى**(1225هـ) في كتابه "لحن العوام" وكان هؤلاء المؤيدّون لفكرة التّرادف يرون أن الواقع اللغوي – أي: الاستعمالي يؤيدّهم[48].

41)) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص٢٣-٢٤.
42)) المصدر السابق، ص٣٦١.
43) جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ص٣٩٩-٤٠٠.)
44)) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص٢٠.
45)) حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥، ص١٧١.
46)) المرجع نفسه، ص١٧١.
47)) لمرجع نفسه، ص١٦٨.
48)) مقدّمة لدراسة علم الدّلالة في ضوء التطّبيق القرآني و النصّ الشّعري: طالب محمد إسماعيل، ط1 ، ٢٠١١/١٤٣٢ ص ١٨٦

وعلى هذا فإن الترادف ظاهرة اجتماعية داخلة في لغة البشر لذلك يصعب الفصل فيها ورفضها رفضا تاما ما دام القرآن الكريم الخالي من الخطأ فيه الترادف في بعض الآيات. مثل:

قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.[49] فهنا نجد كلمة أو لفظة ألف دلالتها سنة وهي نفسها كما نجدها في الآية:

قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾**[50]

وقال تعالى أيضا: **﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾**[51].

فكل هذه المفردات الموجودة في الآيات الكريمة تدل على معنى الحول أو السنة، وعلى هذا فإن حقيقة الترادف ظاهرة موجودة في الألفاظ التي تنطقها ويجب الشرح بمرادفاتها وعلى هذا فلا غنى عن الترادف مهما كان سببا من أسبابه[52].

خاتمة:

إن الدراسات الدلالية في تراثنا قديمة جدا، كان هذا البحث قد رسم العلاقات الدلالية فقط موضوع المعالم الدلالية من الجهة النظرية والتطبيقية في كتاب "الصناعتين، هو عصارة سابقيه من العلماء، أمثال: ابن سلام الجمحي والجاحظ...الخ، كما يشير إلى ذلك محققي الكتاب، محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. اهتم ابو الهلال العسكري بالتراث النقدي في الشعر والنثر، إلا أنه لم يهمل الجانب الدلالي. وقد غلب الجانب التطبيقي على الجانب النظري وذلك لأهمية علم الدلالة في خدمة للقرآن الكريم واللغة العربية. فقد تضاربت الآراء حول القضايا الدلالية وهذا أدى إلى ازدهار اللغة مثل: الاشتقاق الذي حمى اللغة من فسح المجال أمام متكلمي اللغة باستعمال ألفاظ سهلة للتعبير عما يريدونه فأدى ذلك إلى تنوع اللغة وزيادة رصيدها وكل هذا، بسبب تعدد المعاني. فكل الظواهر الدلالية جعلت من اللغة في تطور مستمر وهذا ما أعطى لها الريادة والسيادة على جميع اللغات.

المصادر والمراجع

١- ابن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي،م3 ،دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، س 2008 م 1429 /هـ.

٢- أبو الفضل بن جمال الدين محمد بن مكرم ان منظور، "لسان العرب"، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣، ج١.

٣- أبو هلال العسكري، الصناعتين(الكتابة والشعر)، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو فضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت.

٤- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ٢٠٠٦.

٥- أحمد بن علي الفيومي: المصباح المنير، المكتبة العصرية، ط٢، صيدا، لبنان، ١٩٩٧.

٦- توفبق محمد شاهين المشنرك اللغوي نظريا وتطبيقا, , ط. ١م. وهبة 1980.

٧- جاسم محمد عبد العبود مصطلحات الدّ لالة العربي ةّ:دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 2008.

٨-حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥.

٩-الرازي: مختار الصحاح<

١٠- رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية.

١١-سعيد الخوري الشرنوتي: أقرب الموارد إلى فصح العربية والشوارد، مطبعة مورسلي، بيروت، ط١، ١٩٨٩.

49)) سورة البقرة، الآية: ٩٦.
50)) سورة العنكبوت، الآية: ١٤.
51)) سورة لقمان، الآية: ١٤.
52)) حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، ص١٦٨-١٦٩.

١٢- سيبويه، الكتاب – تحقيق عبد السلام هارون – الخانجي – القاهرة ١٩٨٢.
١٣-السيوطي، المزهر تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين – القاهرة ١٩٥٨.
١٤- ضياء الدين ابن الأثير المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة – دار نهضة مصر – القاهرة.
١٥- طالب محمد إسماعيل مقدّمة لدراسة علم الدّلالة في ضوء التطّبيق القرآني و النصّ الشّعري: طالب محمد إسماعيل، ط1، ٢٠١١م.
١٦- عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي؛ فقه اللغة العربية: عبد الكريم مجاهد، دار أسامة، عمان، ط1، 2005.
١٧- علي عبد الواحد وافي: "فقه اللغة"، دار النهضة، مصر، ط٨، القاهرة.